التَّنوُّعُ اللَّفظيُّ في السِّياقِ القرآنيِ، وأثرُه الدَّلاليُّ

د. علاء شهدي مصطفى زويل (*)

المقدِّمة:

تتمتَّع العربيَّة في أنماطها بتزاحم صيغها وتداخلها كثيرًا. ويتمثل التَّنوع اللفظي في القرآن الكريم مع التَّنوُّع في التَّعريف والتَّنكير، والتَّذكير والتَّأنيث، والاسميَّة والفعليَّة، وما ينطوي تحتها من جزئيات تُعد وجهًا من وجوه إعجاز هذا الكتاب المبارك، ولونًا من ألوان بلاغته وفصاحته. فهذا التَّنوع وجه من وجوه إعجازه البيانيِّ، فما ورد معرَّفًا في موطن، ومنكَّرًا في موطن آخر، أو مذكَّرًا هنا ومؤنَّثًا، أو جمع تكسير على وزنين مختلفين في موضع دون الآخر.. إلخ إنَّما هو لحكمة تُطلب وفائدة تُرام، وليس تكرارًا بلا فائدة فإذا جاءت آية على لفظة مخصوصة، ثمَّ أُعيدت في موضع آخر من القرآن، وقد غيَّر لفظة عمَّا كانت عليه في الأولى فلابد من حكمة تُطلب وهذا ما تحاوله هذه الدِّراسة.

والبحث في دلالة التنوع اللَّفظي، بحث في التَّنوُّع الأسلوبيِّ؛ لأنَّه مرتبط بالتَّحليل اللُّغويِّ، فالمغايرة بين الألفاظ ظاهرة أسلوبيَّة خاضعة للسِّياق، فمتى كان المقام مقتضيًا للمغايرة، ومراوحة الأسلوب بين فنٍّ وفنٍّ وجدنا النَّظم القرآنيَّ منسجمًا مع هذا التَّغايُر بأبلغ سبيل، ومتى كان المقام مقتضيًا لاستمرار الأسلوب على طريقة، أو فنٍّ واحد وجدت البلاغة متحقِّقة في النَّظم.

ومن هنا يُحاول البحث إبراز السِّمات اللُّغويَّة التي يستعملها الخطاب القرآنيُّ، مُبيِّنًا القيمة الصَّرفيَّة؛ لتداخل الصِّيغ في الاستعمال اللُّغويِّ محتكمًا في ذلك إلى السِّياق. وقد عمدتُ إلى دراسة هذا التنوع بنيةً ودلالةً وإبراز الفروق بينهما ما أمكن في حدود بحثي، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَد صَرَّفنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلقُرءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَد صَرَّفنَا فِي هَٰذَا ٱلقُرءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلإِنسَٰنُ أَكثَرَ شَيءٍ جَدَلًا ٥٤﴾ [الكهف]، أي: صرفنا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها ممّا يوجب الاعتبار والتفكر فيه. وتستند الدِّراسة إلى ما تقدِّمه مناهج البحث اللُّغوي من أدوات، وتختار منها ما يتناسب وطبيعة بحثها، حيث تستخدم المنهج الوصفي؛ للخروج من جمع المادة

(*) كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة – جامعة طيبة- فرع ينبع – المملكة العربية السعودية.

وتحليلها إلى نتائج تعين على إظهار واقع الدِّراسات الدَّلاليَّة كمًّا وكيفًا، ويتبع البحث كذلك المنهج التَّاريخي المقارن في رصد المادة ووصفها وتحليلها مستقريًا جهود العلماء حسب السَّبق في التَّنظير والتَّأليف. وهناك بعض الدّراسات التي تتَّصل بجانب من هذا البحث، منها:

١- خصائص التَّعبير القرآني وسماته البلاغيَّة للدُّكتور /عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط(١)، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م.

٢- معجم الفروق الدَّلاليَّة في القرآن الكريم للدُّكتور/ محمَّد محمَّد داوود، دار غريب للطِّباعة والنَّشر، القاهرة، ط(١)، ٢٠٠٨م.

٣- لمسات بيانيَّة في نصوص قرآنيَّة للدُّكتور/ فاضل صالح مهدي، مكتبة دار عمار، الأردن، ط(١)، ٢٠٠٨م.

٤- دراسات في اللِّسانيَّات العربيَّة المعاصرة، للدُّكتور/ عمرو خاطر وهدان، مكتبة حورس الدَّوليَّة، الإسكندريَّة، ط(١)، ٢٠٠٩م.

ومن هنا جاء بحثي في مقدِّمة وخمسة مباحث وخاتمة ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع. أمَّا المقدمة فجاءت مشتملة على قيمة البحث وغاياته، والمنهج المتَّبع فيه، ثم الإشارة إلى أهم الدِّراسات السَّابقة مع ذكْر لتصوُّر مختصر عن محتوياته. وأما المباحث الخمسة، فهي:

المبحث الأوَّل: الإفراد والتثنية والجمع. المبحث الثَّاني: التذكير والتأنيث. المبحث الثَّالث: التَّعريف والتَّنكير. المبحث الرَّابع: التَّبادل الدَّلالي بين صيغ المشتقات. المبحث الخامس: بين أزمنة الأبنية. ثم الخاتمة المتمثِّلة في ذكر بعض نتائج البحث، وأخيرًا: ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأوَّل: الإفراد والتثنية والجمع

وفي هذا المبحث أتعرض لمفردات لغويَّة قرآنية وردت بصور عدة، فتارة ورد للفظ أو المفردة صورتان، هما: الإفراد والجمع، وتارة تجد المفردة تنوعت بين ثلاث صور: الإفراد والتثنية والجمع، وتارة أخرى تجد المفردة تتنوع بين صور عدة للجمع ولك مفردة دلالتها اللغوية في سياقها القرآني، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في مبحثنا هذا، كما سيأتي تفصيله:

أولًا: بين الإفراد والجمع

١. [صلاتهم - صلواتهم]، [عملهم - أعمالهم]، [شهادتهم - شهاداتهم]

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُم فِي صَلَاتِهِم خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون]، وفي السورة نفسها قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِم يُحَافِظُونَ ٩﴾ [المؤمنون]. فقد وردت كلمة: (صلاتهم) بالإفراد تارة، وبالجمع تارة أخرى، فما السِّرُّ الدلاليُّ في ذلك؟ فيجيبنا الزمخشري بقوله: فإن قلت: كيف كرّر ذكر الصلاة أوّلًا وآخرًا؟ قلت: هما ذكران مختلفان فليس بتكرير. وُصِفوا أوّلًا بالخشوع في صلاتهم، وآخرًا بالمحافظة عليها، وذلك أن لا يسهوا عنها، ويؤدّوها في أوقاتها، ويقيموا أركانها، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتمّ به أوصافها. وأيضًا، وقد وُحِّدت أوّلا؛ ليفاد الخشوع في جنس الصلاة، أي: صلاة كانت، وجمعت آخرًا؛ لتفاد المحافظة على أعدادها، وهي: الصلوات الخمس، والوتر، والسنن الرواتب مع كل صلاة وصلاة الجمعة، والعيدين، والجنازة، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى، والتهجد، وصلاة التسابيح، وصلاة الحاجة، وغيرها من النوافل[١].

وصلاتهم لو قرئت بالإفراد فإنه مفرد اسم جنس يدلُّ على الجميع، فاسم الجنس في معنى الجمع يشمل الصلاة بتنوع هيئاتها وعدد ركعاتها وأوقاتها[٢].فوجه الإفراد: أنه مصدر، واسم جنس فيقع على الكثرة، وإن اختلفت في العدد والهيئة والزمن، ووجه الجمع: أنه قد صار بمنزلة الاسم؛ لاختلاف أنواعها، والجمع أقوى؛ لأنه اسم ينضم تحته كثيرٌ وكثيرٌ[٣]. وقِسْ ما ورد من تعليل على قوله تعالى: ﴿وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّن عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُم سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٧]، حيث قرئت "عملهم" تارة بالإفراد، وتارة بالجمع، وما جرى من تعليل حول: صلاتهم وصلواتهم يجري على لفظ: عملهم إفرادًا، وأعمالهم جمعًا.وكذلك قوله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُم وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾ [الزخرف]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِم قَائِمُونَ ٣٣﴾

(١) الكشاف [١٧٧/٣].

(٢) المحرر الوجيز للأندلسي [٣٢٢/٢]، [١٣٧/٤]، والبحر المحيط [١٨٣/٤]، وإتحاف فضلاء البشر [٣١٧]، ودراسات لأسلوب القرآن [٥٤٠/٧]، والقراءات وأثرها في العربية [٢٩٢/١].

(٣) الحجة للفارسي بتصرف [١٧٧/٣].

[المعارج]؛ حيث قُرئت شهادتهم بالإفراد، وشهاداتهم بالجمع، والمراد بشهادتهم هنا المفرد فقط وبالجمع باعتبار التكرار، وتعدد المواقف أو تكرارها(١)، وعلى كلٍّ فـ (شهادة) اسم جنس تتناول الإفراد والجمع، وهذا معتمد عند أهل اللغة، فكما أن الجمع أعمُّ وأشمل، فالإفراد يصدق على قليل الشيء وكثيره، والغرض الأسمى من تنوع اللفظ في القرآن الكريم من إفراد وتثنية وجمع هو العموم والشمول والإحاطة.

٢. [رسالة - رسالات]

في قصة قوم عاد قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُم رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٦٨]، وفي قصة قوم ثمود قال تعالى: ﴿لَقَد أَبلَغتُكُم رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٧٩]. فاللفظان: رسالة - رسالات، كما ترى أحدهما بالإفراد والآخر بالجمع، وورد كذلك لفظ رسالات بالجمع في قصتين: قوم نوح وقوم شعيب [الأعراف: ٦٢، ٦٨، ٩٣]. فوجه الجمع أن النبي -صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلَّم تسليمًا كثيرًا- بُعث بأنواع من الرسالة شتى كأصول التوحيد وشعائر العبادات وشرائع المعاملات والأحكام على تنوعها، والإفرادُ واضح؛ لأنّ اسم الجنس المُضافَ يَعُمُّ جميع ذلك، فالأنبياء الذين قالوا: رسالات بالجمع، وبعضهم الذين قالوا: بالإفراد رسالة، فذلك اعتبارًا للمعنيين(٢).

ولقد قيل إن من أسرار الجمع بلفظ: "رسالات" عند نبي الله شعيب أنَّه أُرسل إلى أمتين، هما: مدين وأصحاب الأيكة، ولذلك جمع الرسالة، ثم إنك أيها القارئ لو تأملت في قصتي صالح وشعيب عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، لوجدت أن ما ذكره نبيُّ الله شعيب من الأوامر والنواهي أكثر ممّا ذكره صالح فهي في حق صالح رسالة، وفي حق شعيب رسالات، وجمعها مع نوح كذلك، فلطول مدة نوح في قومه وكثرة تبليغاته فجمع لذلك لفظ رسالة، وأما قصة هود وصالح فليس كذلك فأفرد اللفظ(٣).وعلى كُلٍّ فالرسالة تتضمن أشياء كثيرة من

---

(١) روح المعاني للألوسي [٢٥/٧٢].

(٢) الدر المصون للحلبي [٤/ ٣٥٣].

(٣) أسرار البيان في التعبير القرآني للسامرائي [مكتبة شاملة]، وكشف المعاني [١٨٠].

الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد، فذكر بلفظ يدلُّ على الإفراد تارةً، وبلفظ يدل على الجمع تارة أخرى[١].

٣. [دارهم - ديارهم]

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتهُمُ ٱلرَّجفَةُ فَأَصبَحُواْ فِي دَارِهِم جَٰثِمِينَ ٧٨﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿فَأَصبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِم جَٰثِمِينَ ٦٧﴾ [هود]. ورد لفظ "دارهم" مفردةً، ووردت "ديارهم" مجموعة، ودارهم: بلدهم المزلزل، وديارهم: منازلهم؛ حيث إن لكل واحدٍ منزله الخاص وداره المحيطة به[٢]. والزمخشري يقول: إن الرجفة حينما أخذتهم رجفت لها القلوب في دارهم في بلدهم وأرضهم، أو في ديارهم فاكتفى بالواحد[٣]. ولكن الذي نلحظه في كتاب الله أن لفظ "ديارهم" ورد مع الصيحة في الآية، وإفراد الدار ورد قبلها لفظ الرجفة، فما وجه اختصاص الإفراد مع الرجفة؟ والجمع مع الصيحة؟ والجواب على ذلك: أن اسم الدار لفظ يقع على المنزل الواحد ويقع على منازل القبيلة وإن اتسعت وافترقت وتعددت مساكنها وديارها إذا ضمها إقليم واحد واجتمعت في ظل حكم واحد، وإذا تقرر هذا فوجه اختيار لفظ الجمع في الآية من سورة هود مناسب لما اقترن به من لفظ الصيحة، وهي هنا عبارة عن العذاب مطلقًا، وأمَّا الرجفة (الزلزلة) فلهذا اللفظ خصوص وهو جزئي ومن المعلوم بالضرورة انحصار الألفاظ في الضربين فإن اللغة لا تختلف في ذلك فالصيحة من حيث الكلمة تطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها، وإذا عبرنا بالرجفة لم يتناول لفظها إلا ما كان عذابًا بها فناسب عموم الصيحة جمع الديار مناسبة تركيب النظم، وناسب خصوص الرجفة إفراد الدار[٤]. وقيل: إن الرجفة، وهي: الزلزلة مع إفراد لفظ الدار، وجمعت مع الصحية؛ لأنها كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة فاتصل كلٌّ بما هو لائق به[٥].

(١) تفسير القرآن العظيم للطبراني [٤١٣/٢].

(٢) ينظر: كشف المعاني [١٨٠]، ومفاتيح الغيب [١٣٥/١٤].

(٣) الكشاف [٤٥٣/٣].

(٤) ملاك التأويل [٢٠٠/١].

(٥) أسرار التكرار في القرآن [١٢٣]، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز [٢١٣/١].

ومذهب البقاعي أعلى من مذهب القائلين بأن الإفراد والجمع لغتان فصيحتان، وأعلى من الذين قالوا: إن الإفراد أخفُّ من الجمع، فإذا اجتمعا تفادوا النّقل بالالتفات إلى الإفراد، والبقاعي يبحث في الفقه البياني المكنون في القرآن الكريم(١). وعلى كلٍّ فكلُّ صيحة في القرآن وردت مقرونة بديارهم، وكل رجفة وردت مقرونة بدارهم(٢).والرجفة ليست كالصيحة في هولها، وكل ذكر بما يلائمه.

٤. [معدودة - معدودات]

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]. ورد لفظ: معدودة بالإفراد، ومعدودات بالجمع، ومعدودة هي القياس لاطراد هذه الصيغة فيهما واحدها مذكر أو مؤنث، تقول في جمع كوز: كيزان مُكسرةً، وليس بأصل أن تقول: مكسرات، وتقول في جمع جمجمة: جماجم، مكسرة ومكسرات، قال تعالى: ﴿سُرُرٌ مَّرفُوعَةٌ ١٣﴾ [الغاشية]، وقد يدخل إحداها على الأخرى فتقول: مرفوعات، وقيل: لأن التقدير: ثلاثة أيام معدودة، ثم تجمع فيقال: مثلًا تسمع أيامنا معدودات، فجاء لفظ "معدودة" على الأصل في سورة البقرة، لأنها السورة الأولى، وجاء بلفظ الجمع في آل عمران على الفرع؛ لأنها السورة الثانية، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَٱذكُرُواْ ٱللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، أي: في ساعات أيام معدودات، يريد التكبير عقيب الصلوات الخمس، فحذف الموصوف وهو المضاف وبقي المضاف إليه والصفة(٣).

يقول أبو حيان: وصفة الجمع الذي لا تعقل تارةً يعامل معاملة الواحدة المؤنثة، وتارة يعامل معاملة جمع الواحدة المؤنثة، ومعدودات جمع لمعدودة، وأنت لا تقول: يوم معدودة، إنما تقول: معدود؛ لأنه مذكر، لكن جاز ذلك في

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن لمحمود توفيق [٣٦٨/١].

(٢) الإبانة في اللغة العربية [٣٦١/٢].

(٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل [١٥٣/١]، والبرهان [١٢٨/١]، وأسرار التكرار [٣٢/١].

جمعه[١]. ويضيف الحلبي بقوله: لقد أجرى الله تعالى لفظ (معدودات) مطابقة للجمع لفظ (أيام)، فقابل الجمع بالجمع، والأصل معدودة[٢].

وهنا فائدة لغوية: قوله: مفرد معدودات: معدودة بالتأنيث ممنوعٌ بل مفردها معدود بالتذكير، ولا يضر جمعه بالألف والتاء؛ إذ الجمع بالألف والتاء لا يستدعي تأنيث المفرد، ألا ترى: إلى قولهم: سجلات وحمامات[٣]. ومن المعلوم أن الشيء إذا كان معدودًا فإنه يدل على القليل[٤]. فمعدودات جمع قلة ومعدودة جمع كثرة وهي أكثر من معدودات والقاعدة العامة تقول: أنه إذا وصفنا الجمع غير العاقل بالمفرد فإنه يفيد الكثرة، ومثال ذلك: أنهار جاريات، وأنهار جارية، والجارية في العدد أكثر من الجاريات[٥]. فإذا كان صفة الجمع لا تعقل عومل معاملة المؤنثة المفردة، أو الجمع كـ (معدودة، ومعدودات)، يقول الزجاج: كل عدد قلّ أو كثر فهو معدود، ولكن معدودات أدلُّ على القلة؛ لأن كل تقليل بجمع الألف والتاء نحو: دريهمات وحمامات، وقد يجوز أن تقع الألف والتاء للتكثير. يقول الألوسي: معدودات بصيغة الجمع دون معدودة بصيغة المفرد تفننًا في التعبير[٦].ولقد أقرّ مجمع اللغة العربية في القاهرة: إطلاق جمع مفعول على مفاعيل ولو كان وصفًا غير معقول، فتقول: أحداث مشهورة ومشهورات، وأيام معدودة ومعدودات، وإذا مضينا في الاقتباس برأي المجمع القاهري كان لنا أن نقول: مسارير ومشاكير صفة للرجال جمعًا (لمسرور ومشكور) وهكذا[٧].

(١) البحر المحيط [١٨٥/٢]، والإعجاز اللغوي والبياني [٣٣٧].

(٢) الدرر المصون [٣٤٣/٢].

(٣) المصدر السابق.

(٤) روح المعاني [٣٠٤/١] بتصرف.

(٥) أسرار البيان في التعبير القرآني [٩٨].

(٦) تاج العروس، مادة: [عدد]، وروح المعاني [٣٠٤/١]، وأبنية الصرف في تفسير روح المعاني [٣٤٦].

(٧) النحاة والقياس [٢٨٩].

ثانيًا: بين الإفراد والتَّثنية والجمع

١. [المشرق - المشرقين - المشارق]
[المغرب - المغربين - المغارب]

قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ٩﴾ [المزمل]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠﴾ [المعارج].

إن لفظي المشرق والمغرب وردا في القرآن الكريم إفرادًا وتثنيةً وجمعًا، وإن هذا لمن روائع الإعجاز اللغوي والبلاغي في كتاب ربنا، ولنتأمل ما قام المفسرون واللغويون الحاذقون به من تأويلات وحجج وبراهين ودلالات. يقول ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ): لقد خَصَّ الله ذكر المشرقين والمغربين بالتشريف في إضافة الرب إليهما لعظمهما في المخلوقات وأنهما طرفا آية عظيمة وعبرة، وهي الشمس وجريها. وحكى النقاش: أنّ المشرقين مشرقا الشمس والقمر، والمغربين كذلك على ما في ذلك من العبر، وكُلَّ متجه، ومتى وقع ذكر المشرق والمغرب فهي إشارة إلى الناحيتين بجملتيهما، ومتى وقع ذكر المشارق والمغارب فهي إشارة إلى تفصيل مشرق كل يوم ومغربه، ومتى ذكر المشرقان والمغربان فهي إشارة إلى نهايتي المشارق والمغارب؛ لأن ذكر نهاية الشيء ذكرٌ لجميعه. ولقد قال مجاهد: هو مشرق الصيف ومغربه، ومشرق الشتاء ومغربه(١).

أمّا أبو حيان فيقول: للشمس مشرق في الصيف مصعد ومشرق في الشتاء منحدر، تنتقل فيه مُصعدة ومنحدرة، فالمشرقان والمغربان للشمس، وقيل المشرقان: مطلع الفجر ومطلع الشمس، والمغربان: مغرب الشفق ومغرب الشمس(٢). ولقد ورد: [المشرقين والمغربين] على صورة اللفظ المثنى حتى يتم التناسق والتجانس بين آيات السور وعدم مخالفتها للسياق، فلو قُدِّر موضعهما

(١) المحرر الوجيز [٢٢٧/٥]، والبحر المديد [٢٧١/٧]، والتفسير المنير للزحيلي [٢٠٧/٢٧]، والتفسير الوسيط [٢٥٥٦/٣]، والدر المصون [٢٩١/٩]، واللباب في علوم الكتاب [٢٧٥/١٦]، وأدب الكتاب لابن قتيبة [٨٩]، والأزمنة والأمكنة للأصفهاني [١٥٢].

(٢) البحر المحيط [٥٩/١٠].

اللفظ مفردًا أو مجموعًا تجد السمع ينبو عنه ويستهد العقل بمنافرته لنسيج النظم القرآني(١).

٢. [جنَّة - جنتان - جنَّات]

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلمُتَّقُونَۖ﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤﴾ [القمر]. المسألة هنا مسألة إفرادٍ وتثنيةٍ وجمعٍ لذكر لفظ [الجنّة]، فالله ذكر الجنة والجنات لاتصال أشجارها ومساكنها وعدم وقوع الفاصل بينهما كأنها جنات ولاشتمالها على ما تلتذ به الروح والجسم كأنها جنتان فالكلُّ عائدٌ إلى صفة مدح(٢).

والتعبير عن الجنة بالجنتين إشارة إلى اتساعها، فالجنة: جنات في اتساعها وامتدادها والجنات جنة في طيب ثمارها ووفرة النعيم فيها، ويجوز أن تكون الجنتان: جنّةٌ للإنس وجنّةٌ للجن... فينزل كل محسن من الفريقين في جنته منهما(٣). وقد قيل: إن إيثار صيغة التثنية في قوله (جنتان) لمراعاة الفواصل القرآنية السابقة واللاحقة، والقرينة في ظاهرة في سورة الرحمن وإلى هذا الكلام يميل القراء، وعلى هذا فجميع ما أُجري بصيغة التثنية في شأن الجنتين فمراد به الجمع، وقيل غير ذلك(٤).

والزمخشري يقول: المفرد: اسم لدار الثواب كلها، والجمع؛ لأنها مشتملة على جنات كثيرة، والمثنى؛ لأن الخطاب للإنس والجن، أو جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي(٥). وعلَّلَ الأصفهانيُّ وغيره لفظ الجمع بقوله: جنات بالجمع لكون الجنات سبعًا، هي: جنة الفردوس، وعدَن، وجنة النعيم، ودار الخلد، وجنة المأوى، ودار السلام، وعليّين(٦).

(١) العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم [١٦٣].

(٢) مفاتيح الغيب [١٠٩/٢٩].

(٣) التفسير القرآني للقرآن [٦٩٠/١٤]، والإتقان في علوم القرآن [٣٤٢/٣].

(٤) التحرير والتنوير [٢٦٥/٢٧]، ومعترك الأقران للسيوطي [٢٩/١].

(٥) الكشاف [٢٥٧/١]، [٤٩/٤].

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن [٢٠٤/١]، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية [٣١٥/١]، والعلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن [٤٨].

وعلى كلٍّ فاستعمال القرآن للفظ إفرادًا وتثنيةً وجمعًا ما هو إلا دليل على إعجاز القرآن وبيانه في التعبير وتناسقه وسبك نظمه، وقوة دلالته ومراعاة فواصل الآي، وهذه الجنات كلها في الجنة وكذلك الجنتان فكل لفظ يصدق على غيره بالضم والشمول والإحاطة والنعيم الخالد، فاللهم ارزقنا الجنة هكذا بالاستغراق والاستيعاب، ولا تحرمنا إياها بسبب ذنوبنا وتقصيرنا في جنبك ربنا.

ثالثًا: بين الجموع

أ- تغاير أوزان جمع التكسير

١. [فتيان - فتية]

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾ [يوسف: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ [الكهف: ١٣]. الفتى من الناس هو: الشاب، وأصله فتيّ؛ لقولهم: فتيان والفتوة لفظة شاذة، وجمعه فتيان، وفتية[١]. وفتية أشبه من فتيان؛ لأن فتية عند العرب لأقل العدد، وقال الثعلبي: هما لغتان جيدتان، مثل: الصبية، والصبيان. وقال الكرخي: وكلاهما جمع فتى كإخوة وإخوان جمع أخ، فـ (فتية) جمع قلة، وفتيان جمعٌ للكثرة[٢]. ولفظ الفتية يشعر بأنهم كانوا شبابًا، وقد ذكرهم القرآن بجمع القلة؛ لأن أكثر ما قيل في عدتهم: ﴿سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ [الكهف: ٢٢] وأما في سورة يوسف: (فتيان)؛ لأنهم زادوا على العشرة وكلاهما جمع لـ (فتى)[٣].

٢. [ذكور - ذكران]

قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الشورى]. إن هاتين الصيغتين: (ذكور - ذكران) جمعٌ لكلمة (ذكر) إلا أن الشائع منهما ذكور أمّا ذكران فهو نادر وهو لم يستعمل في لغتنا العربية (فُعلان) جمعًا لـ (فَعَل) إلا هذه اللفظة، فشيوع الذكور بين سواد الناس أمرٌ جليٌّ واضحٌ بيِّن.

---

(١) إرشاد العقل السليم [٢٧٠/٤]، وروح المعاني [٢٢٦/١٢].

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن [٣٦٣/٦]، وحجة القراءات [٣٦١]، والقراءات وأثرها في علوم العربية للدكتور محيسن [٥٨٧/١].

(٣) سورة الكهف دراسة نحوية وصرفية لمعمر العاني [٣٥٥].

أمّا الجمع (ذكران) فاستعمل في سياقات تشير إلى الغرابة والندرة؛ حيث يندر ولادة التوائم قياسًا على ولادة طفل واحد ذكرًا كان أو أنثى، واستعملت (ذكران) في شأن قوم لوط وفعلهم فعل شاذ نادر فريد؛ لأن الله تعالى قال في شأنهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾ [الشعراء]، فاستخدم لفظ الندرة دلالة وإشارة إلى ندرة الحدث وغرابته الذي يصدر من قوم لوط فتأمل الملمح الدلالي الفارق هذا -سبحان الله - ولكن هذا الكلام ليس على إطلاقه وليس قاصرًا على شأن قوم لوط؛ لأن الله ذكر لفظ (ذكرانًا) في سورة الشورى معبرًا عن الزوجين الذين يُرزقان بأولاد ذكور وإناث معًا، فكل ما في الأمر أن هذا تنوع في استعمال الصيغتين والقرآن ليس به ألفاظ غريبة أو شاذة بل هو قرآن عربيّ بيّن، ولكن الذكران استعملت في أكثر من موطن في كتاب الله في شأن لوط وهي لفظة قليلة الاستعمال بين العرب إشارة إلى أن قوم لوط قوم قليل نسبةً إلى العالمين يفعلون هذه الفعلة الشنعاء المحرّمة(١).

٣. [حمير - حُمُر]

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلأَصوٰتِ لَصَوتُ ٱلحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان]، وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُم حُمُرٌ مُّستَنفِرَةٌ ٥٠﴾ [المدثر]. ورد معنا لفظان: حمير، وحُمُر كلاهما جمع لـ (حِمار) والحمار نوعان: أهلي ووحشي، وله جموع كثيرة هي: أحمرة - وحُمُر - حمير - حُمْر- حُمُور(٢). ولكن القرآن الكريم اقتصر على كلمة الحمير جمعًا للحمار الأهلي الذي يُركب والقرينة أن أكثر الحمير التي تسمع أصواتها بين الناس هي الحمير والأهلية الي تركب، وفي آية النحل: ﴿وَٱلخَيلَ وَٱلبِغَالَ وَٱلحَمِيرَ لِتَركَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]، وأمَّا الحمارُ الوحشيُّ فلا يُركب، ويكون منطلقًا في الصحاري والأماكن البعيدة عن سُكْنى الناس، ولقد أجمع المفسرون أن المراد بالحُمُر في آية المدثر هنا، هي: الحمر الوحشية، ونلحظ بذلك دقة السياق القرآني وروعته وإعجاز بلاغته التي لم تعرفها العربيّةُ نفسها؛ لأن العرب أنفسهم لم يفرّقوا بين الجمعين: [حمير - حُمُر] فتأمل(٣).

(١) اللسان. مادة [ذكر]، وإضافات وتعليقات من الباحث.

(٢) تهذيب اللغة. مادة [ح م د]، واللسان. مادة [حمر].

(٣) ينظر: الكشاف [١٨٨/٤].

وهنا لطيفة لا بُدَّ من التعرض لذكرها، وهي: أن مصرًا من الأمصار لم يصيبوا الهدف اللغوي مع الحمار إفرادًا والحمير جمعًا، فيقولون إذا أرادوا سُبَّة شخص: حُمار بضم الحاء المهملة وهو في القرآن: ﴿كَمَثَلِ ٱلحِمَارِ﴾ [الجمعة: ٥] بكسر الحاء المهملة، وإذا أرادوا سُبَّة قومٍ قالوا: حِمير بكسر الحاء المهملة، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَٱلخَيلَ وَٱلبِغَالَ وَٱلحَمِيرَ لِتَركَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]، بفتح الحاء المهملة، فهؤلاء ظلموا الحمار حال إفراده وحال جمعه بتلفظ لفظه خطأ.

٤. [الكفار - الفجار]

[الكفرة - الفجرة]

قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلكُفَّارَ وَٱلمُنَٰفِقِينَ﴾ [التحريم: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٤﴾ [الانفطار]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلكَفَرَةُ ٱلفَجَرَةُ ٤٢﴾ [عبس]. إن كلمتي: كفار وفجار على وزن فُعَّال، فهو لفظ يدل على كثرة القيام بفعل الكفر وبفعل الفجر بكثرة بالغة، وكلمتا: (كفرة وفجرة) على وزن فَعَلة، وليس فيها معنى التكثير والمبالغة الذي في (فُعَال). ولكن يبقى أن اللفظين يدلان على معنى الوصف بالكفر أو بالفجر إلا أن ما كان على ووزن (فُعّال) يتميز بدلالة المبالغة والكثرة في حين أن ما كان على وزن (فَعْلة) دالٌّ على الدوام والثبات[١]. أضف إلى ذلك أن كلمة "فجرة" في سورة عبس وردت على وزن فعلة مراعاة لفواصل الآيات ومناسبة لرؤوس الآيات التي قبلها.

٥. [النبيين - الأنبياء]

قال تعالى: ﴿وَإِذ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَيَقتُلُونَ ٱلأَنۢبِيَاءَ بِغَيرِ حَقّٖ﴾ [آل عمران: ١١٢]. إن لفظ "النبيين" جمعت جمع سلامة وهو جمع مذكر سالم، أما لفظ الأنبياء فهي جمع تكسير، وجمع التكسير للتكثير، والألف واللام في لفظ النبيين للعهد[٢] والتشديد في لفظ "النبيين" للتكثير[٣]. وهذا التعريف الوارد في النبيين للاستغراق الملقب بالعرفي في اصطلاح أهل المعاني[٤]، وكما هو معلوم أن النبيين جمع نبيّ وهو فعيل بمعنى

(١) معاني الأبنية في العربية. فاضل السامرائي [١٣٢].

(٢) البحر المحيط [٧٥/٣].

(٣) المصدر السابق [٧٦/٣].

(٤) التحرير والتنوير [٣٠٧/٢].

مفعول مشتق من النبأ وهو الخبر المهم؛ لأن الله أخبره بالوحي وعلم ما فيه صلاح نفسه، وصلاح من ينتسب إليه، والقرآن الكريم غالبًا ما يذكر لفظ النبيين في معظم آياته مرادًا بهم الرُّسُل[١]؛ لأن كل رسول نبيّ، وليس كُلُّ نبيٍّ رسولًا، فبينهما عموم وخصوص وإن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا إلا أن لفظ الرسول أعمُّ من النبيِّ. ولقد ذكر العلماء أقوالًا هي من اجتهاداتهم حول الفرق بين النبيين والأنبياء، وقد يصيبوا في بعضها وبعضٍ لا، ومن جملة ما قالوا: "النبيين" هم من كانوا على عهد بني إسرائيل الذين قتلوا، والأنبياء أشمل وأعمُّ وأوسع من عهدهم، وهذا القول الذي قيل عن النبيين أنهم من كانوا على عهد بني إسرائيل غير صحيح البتة؛ لأن الله قال في حق اليهود: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢]، فذكر اللفظ بصيغة "الأنبياء" تارة وذكره بلفظ النبيين تارة أخرى وكثيرًا ما ورد لفظ النبيين في القرآن، ومن أهل العلم من قال: إن النبيين على وجه الخصوص والأنبياء على وجه العموم، ويرى البحث أنه لا فرق دلاليًّا بين اللفظين وإنما الفرق تصريفيًّا لا غير، لماذا؟ لأن اللفظين يتعاقبان كثيرًا في مواضع كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة فلنتأمل هذا التعاقب.

ب- بين جمع التكسير وجمع المؤنث السَّالم

١. [الخبائث - الخبيثات]

قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦]. فالصيغتان: [الخبائث - الخبيثات] جمع لكلمة: خبيثة[٢]. والخبائث في القرآن وصف لغير العاقل، أي: الأعمال الموصوفة بالخبث، نحو: الميتة والدم والخنزير...[٣]، فالخبائث جمع تكسير استعمل لوصف غير العاقل. أمَّا الخبيثات في آية النور، فهي بمعنى النساء الموصوفات بالخبث والنساء عاقلات تأكيدًا فاستعملت هذه اللفظة في الآية وهي جمع مؤنث سالم دلالة على وصف العاقل، والقرينة أنهنّ غير طيبات[٤]. فجمع

(١) جامع لطائف التفسير للقماش [٢٢٩/٥].

(٢) اللسان. مادة [خ ب ث].

(٣) الكشاف [١٢٢/٢].

(٤) البحر المحيط [٤٤١/٦].

التكسير لخبيثة لغير العاقل، وجمع المؤنث لها للعاقل، وهذا هو الفارق الدلالي الجميل الرائع بينهما.

٢. [خطايا - خطيئات]

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَطمَعُ أَن يَغفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ ٱلمُؤمِنِينَ ٥١﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿نَّغفِر لَكُم خَطِيٰٓتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلمُحسِنِينَ ١٦١﴾ [الأعراف]. الخطايا: جمع خطية بغير همز كما في المطايا جمع مطية، وإنما ترك جمع الخطايا بالهمز؛ لأن ترك الهمز في (خطيئة) أكثر من الهمز، فجمع على خطايا، على أن واحدها غير مهموزة، ولو كانت الخطايا مجموعة على خطيئة لقيل: خطائي، نحو: قبيلة وقبائل، وصحيفة وصحائف، وقد تأتي خطيئة بالتاء فتهمز فيها، فيقال: خطيئات، والخطيئة: فعيلة من خَطِئَ الرجلُ يخطأ خِطْأً، وذلك إذا عُدل عن سبيل الحق[١].

يقول أبو عمرو بن العلاء: إن التاء والألف للجمع القليل، وخطايا جمع التكسير وهو للتكثير، وحجته إجماع القراء جميعًا في سورة البقرة على (خطياكم)[٢]. وفي الأصل وجود الهمزة بين الألفين في خطايا، فقلبت ياء؛ لخفائها بين الألفين، وحتى لا تصير ثقيلة في النطق، وجمع خطيئة خطيئات أيضًا، فتأمل عود الهمزة في جمعها الثاني المجموع بالألف والتاء[٣]. فخلاصة القول: أن أبا عمرو قال: إن قومًا كفروا ألف سنة كانت لهم خطيئات لا بل خطايا، وذهب إلى أن خطيئات للجمع القليل وهو جمع السلامة في المؤنث، و(خطايا) جمع تكسير وهو الكثير[٤].

المبحث الثاني: (التذكير والتأنيث)

إن المتأمل في كتاب الله يلمح بعض المفردات قد وردت في سياق القصة القرآنية والمقام واحد في موضعين أو أكثر، إلا أنها تنوعت في هذه المقامات تارة بالتذكير وتارة بالتأنيث. ويحاول البحث الوقوف على العلل الدلالية، والأسرار اللغوية لهذه المغايرة على النحو التالي:

(١) تفسير الطبري بتحقيق شاكر [١١٠/٢]، والإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مسلم [٢٧٣/١].

(٢) حجة القراءات لأبي زرعة [٧٢٦].

(٣) شرح ديوان المتنبي للعكبري [٨٠/١].

(٤) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات [١٨].

١. [ذكر - ذكرى]

قال تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلَّا ذِكرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلَّا ذِكرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام]. ورد لفظ "ذكر" بصيغة التذكير في: يوسف، وص، والقلم، والتكوير، وما ورد هذا اللفظ بالتأنيث إلا في موضع واحد هو في الأنعام الذي معنا في بحثنا هذا. وهذا راجع في بداية المقال إلى مناسبة كلّ لفظ لما قبله من سياق قرآني فالعلّة هي التناسب والتلاؤم(١).

فلفظ "ذكر" بالتذكير، أي القرآن الكريم وما يحمله من هدى ونور وقراءتك له، ولفظ ذكرى بالتأنيث، أي: موعظة يتعظ بها من يسمعها من أهل البصيرة والإيمان ممَّن هيَّأهم الله للسعادة والكمال(٢). وبعد البحث والنظر وُجد أن أكثر المفسرين يوجهون التذكير والتأنيث بما يتعلق به من سياق الآيات التي تسبقها، فالأمر راجع إلى مراعاة تناسب سياق القصة القرآنية(٣).

٢. [ضلال - ضلالة]

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَومِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَومِ لَيسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١﴾ [الأعراف]. وردت كلمة ضلال بالتذكير تارةً، وبالتأنيث تارةً أخرى، وكلاهما مصدر لـ (ضَلَّ يضلُّ) وهو بمعنى ضياع الشيء وذهابه في غير حقه وكل جَازٍ عن القصد ضال(٤). يقول الزمخشري: إن قال قائل: لم قال: ضلالة ولم يقل ضلال، كما قالوا؟! قلت: الضلالة أخصُّ من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك، ألك تمرٌ؟ فقلت: مالي تمرة(٥). والملاحظ أن "ضلال" مصدر، وضلالة اسم مرة، وهي مصدر أيضًا، فما سرُّ العدول؟ وما سرُّ هذا الالتفات من التذكير إلى التأنيث؟ وما الدلالة في هذا الفرق؟ فنقول: إن نبيّ الله نوحًا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام نفى تهمة الضلال عن نفسه بصيغة المصدر ضلال التي وردت بها تلك التهمة على لسان قومه، ولكنه عَدَل

(١) ملاك التأويل [١٩٣/١]، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني [١٦٣].

(٢) أيسر التفاسير للجزائري [٦٥٠/٢].

(٣) ملاك التأويل [١٦٢/١].

(٤) تهذيب اللغة، مادة [ض ل ل]، واللسان. مادة [ض ل ل].

(٥) الكشاف [٨٥/٢].

عن هذه الصيغة إلى اسم المرة "ضلالة"، وذلك مبالغة في النفي؛ ولأن المصدر يدلُّ على القليل والكثير، أما اسم المرة فلا يدلُّ إلا على الفعلة الواحدة، ونفي الأدنى والأقل أبلغ من نفي الكثير أو الأكثر[١].

٣. [طور سينين – طور سيناء]

قال تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ٢﴾ [التين]، وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخرُجُ مِن طُورِ سَيناءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. إن طور سيناء: جبل موسى عليه الصلاة والسلام بين مصر وأيلة، وقيل بفلسطين، وقد يُقال له طور سينين، ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل، وسيناء اسم بقعة أُضيف إليها، أو المركب منها علمٌ له، كامرئ القيس، ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف؛ لأنه "فيعال" كـ (ديماس) من السيناء بالمد وهو الرقعة، أو بالقصر وهو النور، أو ملحق بفعلال كـ (علياء) من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء، فإنه فيعال كـ (كيسان)، أو فعلاء كـ (صحراء) لا فعلال إذ ليس في كلامهم[٢]. وخلاصة القول: طور سينين، قال الأخفش: سينين شجرة واحدتها سينينة. وقرئ كذلك في المصحف، (طور سَيناء وسِيناء) بالفتح والكسر، والفتح أجودُ في النحو، وقال أبو علي: إنَّما لم يصرف لأنه جُعِل اسمًا للبقعة[٣]. فالقرآن معجزٌ في تنوع تصريفاته.

٤. [جاءهم البينات – جاءتهم البينات]

قال تعالى: ﴿وَٱختَلَفُواْ مِنۢ بَعدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱختَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعدِ مَا جَاءَتهُمُ ٱلبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢١٣]. فلقد ورد معنا لفظ جاءهم، مذكرة تارةً ومؤنثة تارةً أخرى، والفاعل هو البينات، وهو لفظ جمع، والجموع يجوز في فعلها التذكير والتأنيث، كقولك: جاءتني كتب فلان، وجاءني كتب فلان[٤]، ويقول النحاس: جاءهم مذكر على تقدير الجميع، وجاءتهم على تقدير الجماعة[٥]. فالملمح الدلالي الذي يتوصل

(١) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور/ طبل [٧١، ٧٢].

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي [٨٤/٤]، وتفسير النسفي [٩٩/٣]، والبحر المديد [٥٦٨/٣]، وروح المعاني [٢١/١٨].

(٣) الصحاح. مادة [س ي ن]، وكذا المختار للرازي، مادة [س ي ن].

(٤) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري [٣١٤/٢].

(٥) إعراب القرآن للنحاس [١٧٤/١].

إليه الباحث أن التعاقب والتناوب بين التذكير والتأنيث على لفظ البينات؛ ليشمل جميع البينات بأنواعها شتى من حجج وبراهين وآيات ساطعات ومعجزات ودلائل ونحو ذلك.

المبحث الثالث: (التعريف والتنكير)

يحاول هذا المبحث الوقوف على دلالة التغاير في اللفظ تعريفًا وتنكيرًا في مقام القصة القرآنية في سياقاتها المختلفة؛ وذلك لبيان الأوجه البلاغية، ولاستشراف العلل الدلالية الإبلاغية للمقام الواحد وكيفية الجمع بينهما، وفيما يلي بيان ذلك:

١. [الحق - حقٍّ]

قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيرِ ٱلحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلأَنْبِيَاءَ بِغَيرِ حَقّٖ﴾ [آل عمران: ١١٢]. فإن لفظ «الحق» في الآيتين ورد بصيغتين متنوعتين إحداهما معرفةً والأخرى منكرةً، والسرُّ في تعريف اللفظ «الحق» هو الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل، قال رسول الله -ﷺ-: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق» متفق عليه، فالحق المذكور بحرف التعريف إشارة إلى هذا، وأما «حق» المنكرة فالمراد بهذا اللفظ النكرة تأكيد العموم، أي: لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره ألبتة[١]. وقوله تعالى: ﴿بِغَيرِ حَقّٖ﴾ كأنه مرادف، لأن لو قيل: بغير سبب ولا شبهة وذلك أوغل في ذمهم وسوء حالهم؛ لأنهم لا يمكنهم في مرتكبهم تعلق بشيء ألبتة ولا أدنى شبهة[٢].

وقال أبو حيان: بغير حق بصيغة التنكير، وفي البقرة «بغير الحق» بصيغة التعريف؛ لأن الجملة هنا أخرجت مخرج الشرط، وهو عام لا يتخصص فناسب أن يكون المنفي بصيغة التنكير حتى يكون عامًا؛ لأن النكرة في صورة النفي تفيد العموم، وفي سورة البقرة جاز ذلك في صورة الخبر عن ناس معهودين فناسب أن يأتي بصيغة التعريف؛ لأن الحق الذي كان يستباح به قتلُ الأنفس عندهم كان معروفًا[٣]. وبغير حق، بصيغة التنكير؛ لعموم النفي بحيث يشمل الحق الثابت

---

[١] مفاتيح الغيب للرازي [٥٣٥/٣].

[٢] ملاك التأويل [٤٢/١].

[٣] البحر المحيط [٧٦/٣].

والحق المزعوم والحق الموهوم ولم يكونوا معذورين بأي نوع من أنواع العذر في هذا الاعتداء فلم يعتقدوا أنه الحق ولم يزعموه ولم يتوهموه؛ بل فعلوا ما فعلوا وهم يعلمون أنهم على الباطل فكان فعلهم إجرامًا في باعثه وإجرامًا في حقيقته وأبلغ الإجرام في موضوعه[١].

٢. [كذبًا - الكذب]

قال تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ [الصف: ٧]. إن كلمة «كذبا» مصدر فيه نوع من الفعل مع عمومه أيضًا[٢]، ولفظ «كذبًا» قسيم الكذب كذلك[٣]، وكذبا مصدر على وزن فَعِل. والكذب أعم وأشمل وهو بمثابة الوعاء الذي يحمل بداخله ألوان الكذب كافة، فالكذب فيه الإطلاق كله، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، فالكذب بكل صوره، وأمَّا كذبًا نكرة فتفيد العموم أيضًا، وقد يكون في صورة دون صورة، وفي موقف دون آخر، فالكذب بالتعريف على إطلاقه المحض بخلاف كذبًا، وإن كانا في النهاية سواء في الطامة والعاقبة، فكذبًا نوع من أنواع الكذب التي هي أنواع كثيرة[٤]. وقال بعض العلماء: وردت الكذب بالألف واللام، وفي مقابلها وردت كذبًا بالنكرة، لأنها أكثر استعمالًا في الصدر من المعرفة، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ٢٨﴾ [النبأ]، صفة تدل على المبالغة، فـ (كذابًا) صفة تدل على المبالغة: كوُضاء مصدر مشدد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى وزن فعَّال[٥]. فالذي يفتري على الله الكذب زاد على الصد عن سبيل الله، وزاد في الافتراء والاعوجاج، بخلاف كذبًا[٦].

---

[١] زهرة التفاسير [١١٥٧/٣].

[٢] الدر المصون [٤٠/٥].

[٣] المصدر السابق [١٥٦/٩].

[٤] ينظر: البحر المحيط [٦٠٦/٦] بتصرف شديد، ودرة التنزيل وغرة التأويل [١٢٧٠/١].

[٥] أسرار التكرار [٢٣٦]، وبصائر ذوي التمييز [٣٣٨/٤].

[٦] لمسات بيانية [٩٩١].

٣.[عذاب أليم - العذاب الأليم]

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦١﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿فَلَا يُؤمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلعَذَابَ ٱلأَلِيمَ ٨٨﴾ [يونس]. لقد ورد معنا في هاتين الآيتين التعريف تارة والتنكير تارة أخرى، وقد قيل: إن العذاب الأليم عند إطلاقه يُراد به عذاب الآخرة، وعند تنكيره نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة، وكلٌّ بحسب وروده في السياق القرآني الذي بين أيدينا(١). وقال أبو حيان عند قوله: (فله عذاب أليم): وظاهر هذا العذاب أنه في الآخرة؛ لأنه معظم ما ورد من هذه التوعدات إنما هي في الآخرة، وقيل غير ذلك(٢). ويرى الباحث: أن العذاب الأليم عند إطلاقه لا يكون قاصرًا على الآخرة فقط بل قد يشمل الدنيا كذلك قبل الآخرة، وعند تنكيره قد يكون قاصرًا على صاحبه في الآخرة دون الأولى، والله أعلم. ولقد فسر الجمهور العذاب الأليم بعذاب الآخرة الشديد، وفسروا [عذاب أليم] في الدنيا بالقتل والقصاص والسجن ونحو ذلك من ألوان العذاب في الدنيا(٣).

٤. [نار - النار]

قال تعالى: ﴿عَلَيهِم نَارٌ مُّؤصَدَةٌ ٢٠﴾ [البلد]، وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ [الطور]، وغيرها. لقد رودت النار معرفة، ووردت منكرة، فما السر الدلالي في هذا الإيراد المتنوع؟

لقد قرن الزمخشري وغيره تعريف «النار» بنزول أمرها في أول الدعوة على أهل مكة، ثم نزلت بالمدينة منكرة إشارة إلى أنهم عرفوها من قبل(٤). ويقول الزمخشري في موضع آخر من تفسيره: وتنكير النار إمَّا لتعظيمها أو لأن الله أعد لأصحاب الخطيئات نوعًا من النار فلم يجدوا من دون الله أنصارًا(٥). يقول القشيري: واللام في النار لام الجنس، فإذا حصل الاستعاذة بالله منها

---

(١) مفاتيح الغيب [٤٨/٥]، والكشاف [٢٢٢/١].

(٢) البحر المحيط [١٨/٢].

(٣) التحرير والتنوير بتصرف [١٤٤/٢].

(٤) الكشاف [١٠٢/١] بتصرف، وأنوار التنزيل [٥٩/١]، والبحر المحيط [١٧٥/١].

(٥) الكشاف [٦٢٠/٤] بتصرف.

فتحصل الاستعاذة عن نيران الحُرقة ونيران الفُرقة[1]. والنار نارٌ عُرِّفت أو نكِّرت/ وهي في الأصل منكرة لدينا جميعًا حسًّا ومعنىً، وحقا ما قاله القصاب، ولو لم يكن من الدليل على سعة اللسان إلا خروج النار -في اللفظ- مخرج النكرات وهي معرفة؛ لنعتها بوقود الناس والحجارة اللذين لفظهما معرفة، وإن كان فيهما خصوص، والإشارة إلى النار بعينها قد جرى ذكرها في كثير من آي القرآن الكريم، والعرب تعرف المشار إليه في كلامها، وإن كان لفظه لفظ نَكِرة[2]. ومن المسلَّم به لغة وعقلًا وعرفا أن لفظ النار أعم وأشمل من لفظ نار، وكلاهما يحملان معنى التعظيم والتهويل والتوبيخ، أعاذنا الله وإياكم من نار الدنيا ونار الآخرة ومن النار عامَّة.

٥. [سلام – السلام]

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ [النساء: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريم] وذلك على لسان نبيّ الله عيسى بن مريم، وقال تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ [مريم: ٤٧]. وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة جدًا بلفظ (السلام) تعريفًا وتنكيرًا، ومواضع التنكير أكثر وروداً في كتاب الله.

السلام: اسم من أسماء الله ﷻ، والله هو السلام؛ لأن من أطاعه سَلِمَ من عقابه وعذابه، وأَمِنَ وسَلِمَ بدخوله جنته التي هي دار السلام، والسلام هي بداية تحية الإسلام لتحقيق الأمان من الخوف والضرر والأذى بكل صُوره. والسلام: اسم مصدر، ومصدر سلّم هو التسليم[3]، وورد في القرآن لفظ (السلام) معرفًا، ولفظ (سلام) بالتنكير، ولكن التنكير أكثر وروداً وكُلٌّ جائزٌ في دلالة المعنى إلا أن كُلّ لفظ (سلام) منكرة له دلالته المختصة في موضع دون موضع، فالسلام على نبي الله نوح -مثلًا- كما في الآية غير السلام الواقع على يحيى وغير السلام

(1) البحر المحيط [٣١١/٢].

(2) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام لأحمد القصاب (ت ٣٦٠هـ) [٣٧٢/٤].

(3) البرهان للزركشي [٧١/٤]، والتحرير [٣٥٧/٧].

الواقع على موسى وهارون، وذلك لاختصاص كل سلام بصاحبه من حيث اختصاص به[١]. و(السلام) و(سلام) كُلٌ بمعنى الطمأنينة والأمان بإدخالهما على نفس المقدوم عليه؛ لأن في ذلك إشعارًا بأن القادم عليه طارق خير لا طارق شر[٢].

والألف واللام في لفظ (السلام) للعهد، وللاستغراق أيضًا في الدلالة اللفظية والمعنوية، ولفظ (سلام) بالتنكير للعموم والشمول أيضًا ولكل دلالة علمية إعجازية، ولذلك جمع القرآن الكريم بينهما بذكرهما، وأودُّ أن أشير في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۚ﴾ في قصة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وعلى آلهما، أنَّ السلام مشروع من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام يكون قبل الكلام، وأن يكون الردُّ أبلغ من الابتداء؛ لأن سلام الملائكة على إبراهيم كان بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، وردُّه من قِبَلِ إبراهيم كان بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية، فإبراهيم حيَّاهم بتحية أحسن من تحيتهم[٣]. وورد لفظ (سلام) بالتنكير مرفوعًا في أكثر مواضع القرآن، وفي هذا دلالة على أن المقصود النوعية، لا فردٌ معيَّن، ولم يُقدم الخبر، لاهتمام القادم بإدخال الطمأنينة والأمان في نفس المقدوم عليه[٤]. وخلاصة القول: أن (السلام) بالتعريف و(سلام) بالتنكير لكل دلالته الإعجازية والمعنوية العظيمة، والقرآن جمع بين كل الصور الدلالية العظيمة بالتصريف بينهما، والسياق يوضح الدلالة ويبرزها.

---

(١) اللباب [٦/٣٩٥]، [١٠/٣٨٩].
(٢) التحرير والتنوير [٧/٣٥٧].
(٣) التحرير [١/١٥٨]، وتفسير السعدي [١/٣٥٨].
(٤) التحرير والتنوير [٧/٣٥٧].

المبحث الرابع: (التَّبادل الدَّلالي بين صيغ المشتقات)

أتناول في هذا المبحث بما يُعرف بالتناوب بين المشتقات؛ فيتحول التَّركيب بنية ودلالة مما يضفي على النسق الإبلاغي مزيدًا من استمرارية النص من خلال هذه الدُّفعات الدَّلالية التي تُعد معيارًا أساسًا من معايير النصية، ويمكن تلمس ذلك في:

١. [ساحر - سحَّار]

قال تعالى: ﴿يَأتُوكَ بِكُلِّ سٰحِرٍ عَلِيمٍ ١١٢﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿يَأتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ٣٧﴾ [الشعراء]. إن كلمة «سحَّار» صيغة مبالغة ناسبت كلمة «عليم» الواردة عقبها، وأمَّا قوله: «ساحر» فالحجة في ذلك أنها جمع لـ «السحرة»، مثل: كَتَبَة وكاتب، وفجرة وفاجر، واسم الفاعل من سحروا: ساحر[١]. وقيل: الساحر: الذي يعلم السحر ولا يُعلِّم، والسحار الذي يُعلِّم ويعمل. وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم[٢]. فساحر وسحار مثل: عالم وعلام، وقد عرف أن فعلان مثالُ مبالغة، وسحار مجاور لـ «عليم»[٣] كما سلف ذكره. قال أبو منصور: من قرأ سحار. فهو أبلغ من ساحر، والقراءتان كلتاهما جيدة، وكلتاهما قرأ بهما حفص في موضعين متفرقين[٤]. وقالوا: إن قراءة سحار بالمبالغة في موضع الشعراء؛ لأنه جواب لقول فرعون فيما استشارهم به من أمر موسى بعد قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَسٰحِرٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [الشعراء]، فأجابوه بما هو أبلغ من قوله، رعاية لمراده[٥]. فالملاحظ من ورود الصيغتين المتعاقبتين من الفعل (سحر): (ساحر وسحّار)، وذلك أن فرعون قد خاطب قومه بعد أن رأى المعجزات الواضحة المبهرة من موسى فوصفه بأنه ساحر، وقد جعل الأمر إليهم فجاء الرد منهم بما يرسم صورة التحدي والمواجهة لموسى بقولهم: (سحّار)، وكأنهم أرادوا أن يبينوا تفوقهم وغلبتهم لموسى

---

[١] مفاتيح الغيب [١٦٣/١٤]، والبحر المحيط [١٣٢/٥]، والبحر المديد [٤٩١/٢].

[٢] تفسير البغوي [٢١٩/٢]، ولباب التأويل للخازن [٢٣٤/٢]، والسراج المنير للشربيني [٥٠٠/١].

[٣] الدر المصون [٤٠٨/٥]، ونظم الدرر [٢٥/٨]، وإبراز المعاني [٤٨٠/١].

[٤] معاني القراءات للأزهري الهرَوي [٤١٦/١].

[٥] إتحاف فضلاء البشر [٢٢٨]، وغيث النفع [١٠٦]، ودراسات لأسلوب القرآن [١٩/٧].

فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليطمئنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه[١]. وخلاصة الإعجاز الدلالي أن اسم الفاعل «ساحر» موصوف بـ «عليم» في الآية ووردت بصيغة المبالغة كذلك على وزن فعَّال، وكل هذا مع التأمل وإمعان النظر يشعرنا بما عليه القوم من علم بالسحر وفنونه، وقم هذا شأنهم أهل للتحدي الكبير في ها المجال[٢]، ومهما يكن فالغلبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

٢. [الخاسرون - الأخسرون]

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢﴾ [هود].

ورد في القرآن التعاقب بين لفظي (الأخسرون والخاسرون) فالأخسرون: يعني الخاسرون بحران النجاة والمنع من الحسنات، ويقال هم أخسر من غيرهم، وقال أهل اللغة: متى ذكر الأخسر مع الألف واللام فيجوز أن يراد به الأخسر من غيرهم وإن لم يذكر غيرهم، وإن ذكر بغير ألف ولام فلا يجوز أن يراد به أنه أخسر إلا أن يقال هو أخسر من فلان أو من غيره[٣]. وأرجع بعض المفسرين أن تنوع الصيغتين راجع للموافقة بين فواصل السور، وقالوا: إن «الخاسرون» الذين صدوا عن سبيل الله، و«الأخسرون» صدوا وصدوا غيرهم فيضاعف لهم العذاب[٤]. وقال أبو جعفر الغرناطي (ت ٧٠٨هـ): قوله: «الأخسرون» يفهم منه صريح المفاضلة ومقصود التفاوت[٥]. ويؤكد الألوسي: الأخسرون بالألف لاقتضاء المقام وهو ما وقع في الفواصل من اعتماد الألف كـ (الكافرين - الغافلين) فعبَّر بـ (الأخسرون) رعاية لذلك وهو أمر سهل[٦]. وخلاصة القول: أن

---

(١) الكشاف [٣١١/٣]، والأبنية الدالة على اسم الفاعل في القرآن. دراسة دلالية للخياط [٥٩/١].

(٢) المنار في علوم القرآن [٣٣/١]، وأسرار البيان في التعبير القرآني للسامرائي [المكتبة الشاملة].

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (ت ٣٧٣هـ) [٥٧٢/٢].

(٤) أسرار التكرار للكرماني [١٤٣]، وبصائر ذوي التمييز [٢٤٨/١٠].

(٥) ملاك التأويل القاطع [٢٥٤/٢].

(٦) روح المعاني [٤٧٤/٧].

أن كلمة «الأخسرون» أبلغ وأوقع في النفس بالإحاطة بالخسران كله عن كلمة «الخاسرون» وإن كانا في خاتمة المطاف سوءٌ سوءٌ.

٣. [عالم - عليم - علَّام]

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ٧٨﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التوبة: ١٠٥]. لقد تنوعت الصيغة المشتقة من الفعل الماضي الثلاثي المبني للمعلوم [علم] إلى اسم فاعل تارة: [عالم]، وصيغة مبالغة على وزن [فعيل - عليم] تارة أخرى، وصيغة مبالغة ثانية على وزن [فعال - علام]، فما السر الدلالي في ذلك التنوع اللفظي بين هذه المشتقات؟

فالقرآن الكريم له تخصيصات في الاستعمال فأحيانا يخصص بعض المفردات بمعنى معين واستعمال معين ودلالة معينة بما يدل على القصد في الاستعمال وسابقا فيما قبل العرب لغويًّا، يقولون: الريح للشر، والرياح للخير، والقاعدين في القرآن هم القاعدون عن الجهاد مع أن القعود هو ضد القيام، لكن القرآن صرفها وخصصها هكذا، والقرآن يخصص الألفاظ بمعنى من المعاني وهذا يدل على التجديد والإرادة في التخصيص والأمثلة كثيرة على هذا. فالله عز وجل هو المستحق سبحانه بأوصاف المبالغة كلها، وهو سبحانه موصوف بكثرة العلم وهي صفات حقيقية في حق الله وليست مبالغًا فيها، والمقصود أن أبنية المبالغة في حق الله أنها تفيد كثرة وقوع الفعل، وليس المقصود أن الأمر مبالغ فيه[١]. فالله هو العالم بما كان وما يكون قبل كونه وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون، أحاط علمه جميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان، عليم وعلام كلاهما من أبنية المبالغة[٢].

وحكى ابن الأثير عن جماهير النحاة أنهم يقولون: إن «عليمًا» أبلغ من «عالم» واستضعف هذه المقالة، وزعم أن الأمر على خلاف ذلك وأن «عالما» أبلغ من «عليم»؛ لأن «عالما» متعد و«عليم» غير متعد، فلهذا كان أبلغ لما ذكرناه، فأما عدة أحرفها فهي سواء، وهذا الذي ذكره فاسد، فإن الدلالة على

(١) لمسات بيانية [١٧٤].

(٢) لسان العرب مادة [علم].

بلاغة «عليم» ليس من جهة عدِّ الأحرف ولا من جهة التعدي واللزوم فيصح ما ذكره، وإنما حصلت المبالغة فيه من جهة الاستعمال؛ لأنهم لا يستعملونه إلا في مواضع البلاغة بخلاف قولنا: «عالم»، فبطل ما توهمه[١]. وخلاصة القول: من عرف أن الله- ﷻ-علام وعالم وعليم بحاله وشؤون الحياة وما تؤول إليه، وأسمائه والخشية منه على الدوام، والطاعة له سبحانه والشكر والصبر.

٤.[عجيب - عجاب]

قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢﴾ [ق]. أقول بداية: عجاب في معنى عجيب ويجوز عجيب في معنى عجاب[٢]، وعجاب مبالغة في عجيب، كقولهم: رَجُلٌ طوال، وأمر سراع هما أبلغ من: طويل وسريع[٣]. وقيل بخلاف ذلك: أن المبالغة تكون بنقل فُعال (عجاب) إلى فعيل وهي (عجيب)[٤]. وقال صاحب المعترك: إن عجاب وعجيب من قبيل إثار بعض أوصاف المبالغة على بعض، فعجاب أوثر على عجيب[٥]. والعجاب هو المجاوز حد العجب[٦]. فكلا اللفظين يدل على المبالغة في العجب، وهذا مستفاد من البناء التصريفي كما في الكلمتين السابقتين اللذين ضربا مثالا: طويل وطِوال (أظنها بالكسر).

٥ [كفار - كفور]

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج]. الكفور: البليغ الكفران، ولم يقل: فإنه كفور؛ ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم[٧]. فكفور على وزن فعول للمبالغة، وكفار فعَّال للمبالغة أيضًا فنوَّع بين الصيغتين[٨]، ولقد استعمل القرآن الصيغ التالية: [كفر -

(١) الطراز لأسرار البلاغة [٨٧/٢].
(٢) معاني القرآن للزجاج [٣٢١/٤].
(٣) الدر المصون [٣٥٧/٩].
(٤) البرهان للزركشي [٥١٣/٢].
(٥) معترك الأقران [٣٠/١]، والأصلان في علوم القرآن [٦٩]، وشرح المخللاتي [٥٩].
(٦) المحيط في اللغة، باب الثلاثي الصحيح [بعج].
(٧) الكشاف [٢٣٦/٤].
(٨) البرهان [٥١٤/٢].

كافر - كافرة - كفرة - كفار - كفور] والحكمة من تعدد هذه الاستعمالات وتنوعها تجعلك تدرك عند النظر في الآيات مجتمعة والتعرض إلى دلالتها متكاملة[1]. فكلمة (كفار) مبالغة دالة على التكثير من الكفر وفعله وتكراره ومزاولته، بخلاف (كفور) فإنها تفيد الدلالة على المبالغة التي ليس بعدها مزيد[2]، وكلا الوصفين مقصود في وصف الكفر.

المبحث الخامس: (بين أزمنة الأبنية)

١. [قلنا - قيل]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلقَرِيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلقَرِيَةَ﴾ [الأعراف: ١٦١]. إن التعاقب ورد بين الفعلين إحداهما بصيغة المبني للمعلوم والآخر بصيغة المبني لما لم يُسمَّ فاعله، وهو المبني للمفعول. قيل: إن (قيل) بصيغة المبني للمفعول من قِبَل المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف إثر نهييهم عن المنكر إتمامًا للنصح وإكمالًا للإرشاد[3]. وإجراء وإجراء الفعل هنا مبنيًّا للمفعول جريا على سنن الكبرياء مع الإيذاء بأن الفاعل غني عن التصريح[4]. وقوله: (وإذ قلنا): هو الله عز وجل يتكلَّم بنون العظمة سبحانه وتعالى، وأما ورود الصيغتين بصورتين متنوعتين إنما هو من قبيل الالتفات، والالتفات في القرآن الكريم دلالته التنبيه ولفت النظر والتجدد في دلالة المعنى بتجدد الصيغة في القصة القرآنية.

٢. [يطاف - يطوف]

قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيهِم وِلدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: ١٩].إن صيغة الفعل (يطاف) فعل مضارع مُغيَّر الصيغة معطوف على قوله: ﴿وَذُلِّلَت﴾، و«بآنية» في محل رفع نائب فاعل لـ (يطاف)؛ لأنه هو المفعول به في المعنى. و(يطوف): فعل مضارع معلوم معطوف على ما قبله و(ولدان) فاعل[5]. فالأواني يطاف بها، والولدان هم

---

(١) مفاتيح للتعامل مع القرآن للدكتور صلاح الخالدي [١٥٥].
(٢) معاني الأبنية [٩٤]، والكشاف [٢٣٦/٤]، وهمع الهوامع للسيوطي [٩٧/٢].
(٣) تفسير أبي السعود [١٣٠/١].
(٤) روح المعاني [١١٨/٩].
(٥) حدائق الروح والريحان [٥١٥/٣٠].

هم الذين يطوفون بأنفسهم. إن دلالة اللفظ (يطاف) يدل على كمال الخدمة ورشاقة الحركة، والسلوك[١]، فأهل الجنة يكونون في أبهى صورهم والولدان يطوفون عليهم بالنعيم. هذا، ومن قبيل ما ورد في القرآن كذلك مبنيا على الصيغتين وإحداهما للمفعول والأخرى للمعلوم، ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [التوبة: ٩٣]، ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [التوبة: ٨٧]، والأمثلة في كتاب الله من هذا النوع كثيرة.

٣. [يرسل - أرسل]

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشرَۢا﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَرسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الفرقان: ٤٨]. حيث ورد لفظ يرسل بصيغة المستقبل وأرسل بصيغة الماضي، والجواب عن ذلك: أن ما قبل: (يرسل) التي في الأعراف: ﴿وَٱدعُوهُ خَوفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعراف: ٥٦]، والخوف والطمع يقعان في الاستقبال، فكان يرسل بلفظ المستقبل أشبه بما قبله، وأما لفظ (أرسل) في الفرقان فما قبلها قوله: ﴿أَلَم تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، فماضي الفعل (أرسل) مناسب للفعل (مدّ) الذي قبله الوارد بصيغة الماضي[٢]، فالعبرة في هذا التعاقب بين الماضي والمضارع، إنما هو رعاية للمناسبة، فكل آية ناسبت التي قبلها في السياق ليكتمل النظم القرآني في أروع تناسق صوره.

وقد يؤتى بالفعل المضارع ماضي المعنى وذلك للاستحضار لتلك الصورة البديعية الدالة على القدرة المبهرة، ويمكن أن يجعل ذلك لإفادة الاستمرار، فإن قلت: لو أريد الاستمرار لأتى بالفعل المضارع في جميع المواضع، قلت: وكذلك إذا أريد الاستحضار إلا أن يقال: أُتي بالفعل الماضي أولًا؛ لأنه لو أتي بالمضارع لم يبقَ ما يدل على أن المراد الإخبار عن الماضي، فالفعل (يرسل) دلالته لعلة قصد بها المستقبل؛ ليحصل من مجموع الآيتين الإخبار عن حالتي المضي والاستقبال[٣].

---

[١] الدلالة النفسية للألفاظ [١٥٥].

[٢] غرائب التفسير [٤٠٩/١]، وغرائب القرآن [٢٦٠/٣]، ودرة التنزيل [٥٨٨/٢]، وكشف المعاني [١٧٦].

[٣] عروس الأفراح للسبكي [٣٥٧/١].

٤. [افترى - يفتري]

قال تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [يونس: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥]. الافتراء: كما هو معلوم الاختلاق والادِّعاء وأشنع الكذب، والفعل يفتري من افترى الخماسي من باب افتعل، والافتراء: هو اختلاق الكذب من عند نفسه[١].

وعند التحقيق في المسألة والتتبع لآيات القرآن العظيم، وجدت أن صيغة افترى وردت بالصيغة الدالة على المصدر وبالصيغة الدالة على الزمن الماضي، وبصيغة البناء للمفعول زمن الحال والديمومة والمناسبة، وبصيغة اسم المفعول المسبوقة بهمزة الاستفهام في القرآن أيضًا إنكارًا وتوبيخًا وتعجبًا، ومع كل هذه الافتراءات المتنوعة في الأزمنة المختلفة والله غالبٌ على أمره سبحانه وتعالى[٢]. والافتراء وقع من الجاحدين المكابرين الكافرين بصور شتى، ولا يزال يقع منهم، والقرآن أثبت وقوع الافتراء منهم تارة واستمرارية وقوعه من قبلهم تارة أخرى. والشيء بالشيء يذكر: هو أن الافتراء ورد في القرآن بلفظ المصدر كذلك وبلفظ المشتقات وهذا كله يفيد معنى التقرير والتوكيد وقد وقعت عليهم الإهانات بكثرة افتراءاتهم على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين في أزمنة شتى[٣].

٥. [نسقيكم - أسقيناكم]

قال تعالى: ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ٢٧﴾ [المرسلات]. إن كلمة (أسقيناكم) فيها معنى العموم والشمول والتقدير : كأنه أريد أن تسقون أنتم ومواشيكم وزروعكم وأشجاركم من الماء، بخلاف لفظ (نسقيكم) فإنها تفيد: أنتم وحدكم دون مواشيكم وزروعكم[٤]. و نُسقيكم بالنون المضمومة عند حفص: أي جعلنا في ضروع الأنعام من الألبان سقيًا لكم، وقد قالوا: أسقيناكم نهرًا: إذا جعلته سقيا لهم، هذا أعمّ؛ لأن ما هو سقيا لهم لا يمتنع أن يكون للشفة وما للشفة فقد يمتنع أن يكون سقيا، وما

---

[١] حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن [٢٧٣/١٢].

[٢] ينظر: البحر المحيط [٢٨٢/٣].

[٣] البحث الدلالي في التبيان [١٨٩].

[٤] الضابط اللغوي في التفسير العلمي [٢٥٢].

أسقيناه من ألبان الأنعام أكثر مما يكون للشفة؛ ولفظ: أسقيناكم يصلح لسقيا الشفاه والأنعام والمزارع والمراعي، ثم ألا ترى أن أسقى لا يخلوا من أن يكون لغة في سقى، أو يكون على حد: ﴿وَأَسقَيۡنَٰكُم مَّآءً فُرَاتٗا ٢٧﴾، وهذا الوجه فيه بعض البُعد[١].

الخاتمة

الحمد لله على نِعَمِه العظيمة، وآلائه الغزيرة، وصلى الله وسلم وبارك على نبيّ الختام والتمام نبينا محمد، والصلاة والسلام على آله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنَّ كُلَّ صيغتين متماثلتين في كتاب الله اشتركا في أصل المادة اللغوية جديرة بالوقوف عليهما للتأمل الجاد في معرفة الفروق الدلالية بينهما تلذذًا وإعجابًا بما في القرآن من إعجاز لغوي علمي هادف، وكل فرق دلالي توصلت إليه بفضل الله بعد البحث والتتبع والاستقراء جديرٌ بأن يدوَّن هنا في الخاتمة بكل قوّة بالغة، ولكن لكثرة الفوائد والنتائج في هذا البحث فسأكتفي بذكر جزءٍ يسير من مجملها على النحو التالي:

أولًا: إن المتتبع للسياقات القرآنية المتصرفة (المتنوعة) بتأمل تنجلي له الملامح الدلالية الرائعة المرهفة التي تحتملها الصيغ المتنوعة وإن كان في ظاهرها الأولي اتفاق في المعنى.

ثانيًا: إن التنوع التصريفي بين اللفظين في قصة ما في القرآن تكون مراعاةً لصوت الكلام ونغمه وهذه سمةٌ جمالية للتعبير القرآني الذي تتكاتف فيه الأصوات وتتآزر فيه التراكيب والدلالات لأداء المعنى على أدق وجه وأكمل صورة، وأبلغ عبارة وأفصح بيان وأعجز برهان وأقوى حجة.

ثالثًا: إن الوقوف على الملامح الدلالية المتنوعة باكتشافها أشبه باكتشاف كنز من كنوز العلوم اللغوية الذي يزيدك سرورًا وبهجةً ورضًا؛ لأن قوة الملاحظة والدقة اللغوية نمت لديك حقًا وصدقًا.

رابعًا: إن تنوعَ بعض الصيغ يأتي تبعًا للسياق أو لفحوى الخطاب فتأتي الصيغة مناسبة للمقام من حيث الرحمة أو العذاب أو التهديد أو التبشير أو العلم أو ما شاكل ذلك.

---

[١] الحجة للفارسي [١٨٠/٣].

خامسًا: بعض الصيغ تكون من قبيل مراعاة الفواصل القرآنية، أو لمناسبة أحداث القصة، أو تماشيًا مع النغم القرآني.

سادسًا: إن مقام الكثرة والقوة والشدة -مثلًا- قد لا يناسبه إلا بنية لفظية مضعفة كالفعل المضعف، فالصيغة الصرفية لها دورها في أداء الوظيفة الدلالية ليكمل التعبير القرآني.

سابعًا: الوقوف على الفرق بين صيغتين إحداهما دالة على الثبوت واللزوم، والأخرى دالة على التجدد والاستمرار والمبالغة والكثرة.

ثامنًا: إن ورود اللفظ الدال على الحدث بأزمنته كاملة يؤدي إلى لزوم الحدث واستمراره وعدم انقطاعه، وأنه قائم وثابت على الدوام.

تاسعًا: إدراك الفرق الدلالي بين الجموع كجمع القلة وكجمع الكثرة وجمع التكسير، وهل هو للعاقل أم لغير العاقل مع مراعاة السياق في المقام الأول، ومعرفة تصاريف اللفظ من الأقل إلى الأعلى للتحقق من اللفظ أنه صالح لأي جمع؟ قلةً أم كثرةً؟ وهكذا الحال في بقية الصيغ.

ثبت المصادر والمراجع

١- الإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مسلم العوني الصحاري، تحقيق الدكتور/ عبد الكريم خليفة، والدكتور/ محمد حسن عواد، وغيرهما، وزارة التراث القومي [مسقط – سلطنة عمان]. ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢- إبراز المعاني من حرز المعاني. أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، دار الكتب - بيروت - لبنان.

٣- الأبنية الدالة على اسم الفاعل في القرآن الكريم (دراسة دلالية). أفراح علي الخياط. كلية الآداب. جامعة بغداد، (رسالة دكتوراه)، إشراف/ الدكتورة هدى محمد صالح الحديثي.

٤- أبنية الصرف في تفسير روح المعاني للألوسي (دراسة صرفية دلالية)، رسالة ماجستير بجامعة بغداد في كلية التربية للبنات. شيماء محمود الشمري. إشراف الدكتورة/ خديجة الحمداني، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٠م.

٥- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر. أحمد محمد البنا. تحقيق الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٦- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود العمادي محمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. [د . ت].

٨- الأزمنة والأمكنة. أبو علي أحمد محمد الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت ٤٢١هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.

٩- أسرار البيان في التعبير القرآني. فاضل بن صالح مهدي السامرائي. [المكتبة الشاملة الحديثة]. [الشبكة العنكبوتية].

١٠-أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان). محمود حمزة الكرماني (ت ٥٠٥هـ). تحقيق/ عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة. [د . ت].

١١-أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٢-الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم (دراسة إحصائية)، الدكتور/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
١٣-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٤-الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية - بيروت، ط١ ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
١٥-الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم. علي بن نايف الشحود، (الباحث في القرآن والسنة)، [موقع المكتبة الشاملة].
١٦-أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي). البيضاوي (ت ٦٩١هـ)، دار الفكر – بيروت. [د . ت].
١٧-أنوار الربيع في أنواع البديع. صدر الدين المدني، علي بن أحمد محمد معصوم الحسني الحسيني الشهير بابن معصوم (ت١١١٩هـ)،، د. ط. [د . ت].
١٨-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. عبد الله يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) تحقيق/ يوسف محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر [د. ت].
١٩-باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن. محمود بن أبي الحسن علي بن الحسن النيسابوري الشهير بـ (بيان الحق) (ت ٥٥٣هـ)، تحقيق الدكتورة/ سعاد صالح بابقي. جامعة أم القرى – مكة المكرمة – السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٠-البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) رسالة دكتوراه – جامعة بغداد، لصاحبتها ابتهال ياسر الزيدي، بإشراف الدكتور/ علي جميل السامرائي، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، (كلية التربية بالجامعة).

٢١-بحر العلوم. أبو الليث نصر محمد أحمد السمرقندي [ت ٣٧٣هـ]، دار الفكر.
٢٢-البحر المحيط في التفسير. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ). تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت - ١٤٢٠هـ.
٢٣-البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. أبو العباس أحمد محمد الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ). تحقيق/ أحمد عبد الله القرشي، القاهرة، ١٤١٩هـ.
٢٤-البرهان في علوم القرآن. أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي (ت ٧٩٤هـ). تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار الحلبي وشركاه، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٢٥-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق/ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
٢٦-البلاغة العربية. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٧-بيان المعاني. ملا حويش آل غازي عبد القادر، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢هـ.
٢٨-البيان والتبيين. عمرو بن بحر محبوب الكناني أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) دار ومكتبة الهلال – بيروت، ١٤٢٣هـ.
٢٩-تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ). مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٣٠-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة. شرح ونشر/ أحمد الصقر، دار التراث بالقاهرة، ط ٢، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).
٣١-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. عبد العظيم ظافر بن أبي الإصبع البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق الدكتور

حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة لجنة إحياء التراث الإسلامي.
٣٢-التحرير والتنوير المختصر من "تحرير المعنى السَّديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد بن طاهر بن عاشور، بيروت، د. ت.
٣٣-تذكرة الأريب في تفسير الغريب، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ). تحقيق/ طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٤-التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. أبو حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور/ حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ط ١، [د. ت].
٣٥-التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية. علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة. [د . ت].
٣٦-التفسير البسيط. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨ هـ). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بواسطة عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٣٠هـ.
٣٧-تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. تحقيق/ مصطفي السيد محمد، ومحمد السيد رشاد وآخرون، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ.
٣٨-التفسير القرآني للقرآن. عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٧هـ) دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).
٣٩-تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق مجدي باسلوم. دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٩م.
٤٠-تفسير النسفي. أبو البركات عبد الله أحمد النسفي، تحقيق/ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م.
٤١-جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٢-جامع الدروس العربية. مصطفى محمد سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ط ٢٨، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٤٣-جامع لطائف التفسير. عبد الرحمن محمد القماش. (الشاملة - الشبكة العنكبوتية).
٤٤-الجدول في إعراب القرآن الكريم. محمود عبد الرحيم صافي (١٢٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط ٤، ١٤١٨هـ.
٤٥-الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات. [رسالة دكتوراه – جامعة حلب - كلية الآداب ٢٠٠٥م]، عبد البديع اليزباني، دار الغوثاني - دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٤٦-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد إبراهيم مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق الدكتور/ يوسف الصميلي – المكتبة العصرية – بيروت. [د . ت].
٤٧-حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماه: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي. شهاب الدين أحمد الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت. [د . ت].
٤٨-حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. أبو العرفان محمد علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤٩-حجة القراءات. عبد الرحمن محمد أبو زرعة ابن زنجلة (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق/ سعيد الأفغاني. دار الرسالة. [د . ت].
٥٠-الحجة للقراء السبعة. أبو علي الحسن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، راجعه/ كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٤م.
٥١-حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. محمد الأمين الهرري الشافعي، مراجعة الدكتور/ هاشم محمد علي بن مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥٢-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر عمر البغدادي (ت ١٠٦٣هـ). تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٥٣-خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه)، الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة – ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٥٤-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أبو العباس، شهاب الدين أحمد يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق.
٥٥-دراسات لأسلوب القرآن الكريم. محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، [د . ط].
٥٦-درة التنزيل وغرة التأويل. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، تحقيق الدكتور/ محمد آيدين جامعة أم القربى مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٥٧-دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٥٨-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. أبو الفضل محمود الألوسي، دار إحياء التراث – بيروت.
٥٩-روح المعاني. إسماعيل حقي مصطفى الإستانبولي. دار إحياء التراث العربي. [د . ت].
٦٠-زهرة التفاسير. محمد أحمد مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٥٤هـ). دار الفكر العربي. [د . ت].
٦١-السراج المنير في الإعانة على معرفة معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق الأسرية – القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٦٢-شرح التسهيل المسمى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد). محمد بن يوسف المعروف بـ (ناظر الجيش، ت ٧٧٨هـ). تحقيق علي محمد فاخر، وآخرون، دار السلام، القاهرة. ط ١، ١٤٢٨هـ.

٦٣-شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ). تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف. ط ٥، [د. ت].
٦٤-شرح شافية ابن الحاجب. محمد الحسن الرضي الاستراباذي نجم الدين (ت ٦٨٦هـ) تحقيق/ محمد الزفزاف، والدكتور محمد الحسن ومحمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب، بيروت – لبنان – ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٦٥-شرح نهج البلاغة. عبد الحميد هبة الله بن محمد أبو حامد عز الدين (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى اليابي الحلبي وشركاه.
٦٦-الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية). إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦٧-الضابط اللغوي في التفسير العلمي، هدى إسماعيل الزيدي، رسالة دكتوراه بجامعة بغداد – كلية التربية للبنات، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٦٨-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. يحيى بن حمزة علي إبراهيم الحسيني العلوي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية – بيروت – ط ١، ١٤٢٣هـ.
٦٩-عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. أحمد بن علي عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية – بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٣ – ٢٠٠٣م.
٧٠-العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم. آلان سمين مجيد زنكنة. بغداد/ العراق، كلية التربية للبنات، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٧١-علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي. منقور عبد الجليل، (موقع اتحاد الكتاب العربي على الشبكة العنكبوتية).
٧٢-غرائب التفسير وعجائب التأويل. محمود حمزة أبو القاسم برهان الدين الكرماني (تاج القراء) (ت ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، ومؤسسة علوم القرآن – بيروت.

٧٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان. نظام الدين الحسن محمد بن حسين النيسابوري (ت ٨٥٠هـ). تحقيق الشيخ/ زكريا عيران، دار الكتاب العالمية، بيروت ط ١، ١٤١٦هـ.
٧٤- غريب القرآن. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ). تحقيق/ أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٧٥- غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي. مطبعة/ مصطفى البابي الحلبي ط ٣، ١٩٥٤م.
٧٦- الفروق اللغوية في تفسير الكلمات القرآنية. علي فهمي النزهي، تقديم/ أحمد عيسى المعصراوي، وعبد الكريم صالح، وغيرهما. الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
٧٧- قراءات قرآنية وتوجيهها من كلام العرب. الدكتور/ إبراهيم محمد الإدكاوي، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، خلف الجامع الأزهر، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٧٨- القراءات وأثرها في علوم العربية. محمد محمد محمد سالم محيسن (ت ١٤٢٢هـ) مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٧٩- كتاب تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩هـ). تحقيق سعد محمد السعيد، دار المآثر، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٨٠- الكشاف المذيل بحاشية الانتصاف لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
٨١- الكشاف عن حقائق التنزيل. جار الله أحمد الزمخشري، دار المعارف، بيروت. [د. ت].
٨٢- كشف المعاني في المتشابه من المباني. أبو عبد الله محمد إبراهيم الكناني الحموي الشافعي (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق عبد الجواد خلف. دار الوفاء المنصورة، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨٣-الكشف والبيان عن تفسير القرآن. أحمد محمد الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، تحقيق/أبو محمد عاشور. دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٨٤-الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية). أيوب موسى الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ). تحقيق/ عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
٨٥-لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٨٦-اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت ٧٧٥هـ). تحقيق الشيخ/ عادل أحمد، والشيخ/ علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٨٧-لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ط ٣، ١٤١٤هـ.
٨٨-لمسات بيانية في نصوص قرآنية، فاضل صالح مهدي السامرائي. (المكتبة الشاملة).
٨٩-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية. شمس الدين أبو العون محمد أحمد السفاريني (ت ١١٨٨ هـ)، مؤسسة الخافقين. دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٩٠-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو محمد عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ). تحقيق/ عبد السلام عبد الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١، ١٤٢٢هـ.
٩١-المحكم والمحيط الأعظم. أبو الحسن علي بن سيدة المرسي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
٩٢-مختار الصحاح. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦ هـ). تحقيق/ يوسف الشيخ محمد. المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩٣-المخصص. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت ٤٥٨هـ). تحقيق/ خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، ط ١، لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٩٤-المذكر والمؤنث. أبو بكر محمد الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة، مراجعة الدكتور/ رمضان عبد التواب، لجنة إحياء التراث بمصر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٩٥-معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي). أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ). تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٩٦-معاني القراءات للأزهري الهروي أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، مركز البحوث بكلية الآداب - جامعة الملك سعود - السعودية، ط ٥١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٩٧-معاني القرآن وإعرابه. إبراهيم السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل شبلي. عالم الكتب – بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩٨-معترك الأقران في إعجاز القرآن. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩٩-معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د/ محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٠٠-مفاتيح الغيب. فخر الدين محمد الميمني الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٠١-مفاتيح للتعامل مع القرآن. د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق – ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٠٢-المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ). تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار العلم – الدار الشامية – دمشق – بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
١٠٣-المقتضب للمبرد، تحقيق/ عضيمة، مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٨٢م.

١٠٤-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. أحمد الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.
١٠٥-الممتع الكبير في التصريف. علي بن مؤمن محمد الأشبيلي المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩هـ). مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
١٠٦-المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره. الدكتور/ محمد علي الحسن، تقديم/ د. محمد عجاج الخطيب. مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٠٧-نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن عبد الله السهلي (ت ٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٤م.
١٠٨-النحاة والقياس. صلاح الدين الزعبلاوي، مجلة التراث العربي مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العربي – دمشق – العدد ٣٢، السنة الثامنة/ ذي القعدة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م يوليو.
١٠٩-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتب الإسلامية – القاهرة.
١١٠-النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام. أحمد محمد علي محمد الكرجي القصاب (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق/ علي التويجري، وإبراهيم الجنيدل وغيرهما، دار القيم – دار ابن عفان. ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١١١-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية مصر.